الوَلَايَةُ في القرآن الكريم، أقسامها، أسبابها، وثمارها

بحث علمي محكم،

نشر في مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية،
الجمهورية اليمنية، المجلد (١٦) العدد (٢) ٢٠٢١م

د/ عبد الرقيب عبده خالد عبد الله
دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن
الجمهورية اليمنية
n٧١٢٨٤٩٥٠٥@gmil.com

ملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان حقيقة الولاية، وذكر أقسامها وبيان أسبابها، وذكر ثمارها، وذلك من خلال دراسة الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع، وقد اعتمدت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي؛ من أجل الوصول إلى ما يهدف إليه هذا البحث. وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد فيه بيان مصطلحات البحث، وثلاثة مباحث، فيها بيان أقسام الولاية، وفيها ذكر بعض الأسباب الجالبة لهذه الولاية، وفيها ذكر بعض الأسباب المانعة من الحصول على الولاية، مع ذكر بعض الثمرات التي يتحصل عليها ولي الله تعالى في الدنيا والآخرة.

وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج، منها: أن ولاية الله تعالى لخلقه على قسمين، ولاية عامة وولاية خاصة، ولاية الله تعالى العامة لخلقه لها مظاهر، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أسباباً لنيل ولايته الخاصة، وأسباباً للحرمان من ولاية الله تعالى، من كان لله ولياً في الدنيا نال ثمار هذه الولاية في الدنيا والآخرة.

كلمات مفتاحية: الولاية، القرآن.

Abstract

The research was aimed at addressing the ‹concept of Welayah (literally guardianship) identifying its elements and causes and showing how it pays off by studying the relevant Qur’anic the researcher adopted the ‹verses. To this end inductive-descriptive approach. The research consisted of an introduction and a preface in which and of ‹a definition of the research terms was given three sections devoted to the Welayah and its with reference to some of what leads to ‹elements in addition to a set of fruits received ‹or prevents it by the adherents both in this world and the hereafter.

‹The research led the author to several results including that the concept of Welayah is divided one is limited and the another is ‹into two parts and that it has manifestations. In his ‹unlimited Allah Almighty mentioned the reasons ‹Holy Book for obtaining and preventing His Welayah. Whoever adheres to the Welayah will gain its fruits here in this world and in the hereafter.

Key words: Welayah. Qur’an

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد:

فإن من الأمنيات العزيزة لكل مسلم أن يصل إلى مرحلة يكون فيها وليا لله تعالى، وبذلك يكون تحت عناية الله تعالى ورعايته، فلا خوف يعتريه ولا حزن يصيبه، كما قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٣].

وبعد أن يكون العبد وليا لله تعالى، فإن الله تعالى يوفقه لاستخدام جوارحه في طاعة الله تبارك وتعالى ومرضاته، وبذلك يكون عبداً ربانيا، إذا سأل الله تعالى شيئاً أعطاه سؤله، وإذا استعاذه من شيء أعاذه، ومن آذاه فقد آذنه الله تعالى بالحرب، وينال العبد من ولاية الله تعالى بقدر قربه منه سبحانه وتعالى، وقد وضح النبي صلى الله عليه وسلم مرتبة الولاية، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي

بالنوافل، حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته"[١].

أهمية البحث

موضوع الولاية من الموضوعات الهامة التي تحدث عنها الله تعالى في كتابه الكريم، فقد ذكر الله تعالى في كتابه، أقسام ولايته لخلقه، وذكر الأسباب الجالبة لولايته والأسباب المانعة من الحصول على هذه الولاية، وبين الله تعالى ثمرات ولايته لعبادة، ولم يقف الباحث على موضوع يتناول قضية ولاية الله تعالى من خلال القرآن الكريم، فجاء هذا البحث مساهمة منا لتجلية هذا الموضوع وبيانه في ضوء القرآن الكريم.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الرقائق، باب التواضع، ٥/ ٢٣٨٤، برقم (٦١٣٧).

مشكلة البحث

الولاية من المراتب التي أساء كثير من المسلمين فهمها وتصورها، فاخترع بعض المسلمين طرقاً ـ ما أنزل الله بها من سلطان ـ بغية الوصول إليها، وسلك البعض الآخر طريق الرهبان فاعتزلوا الخلق وزعموا أنهم بذلك أولياء الله تعالى، وادعى قوم أنهم أولياء الله تعالى بلا عمل، فجاء هذا البحث مبيناً لحقيقة ولاية الله تعالى، والأسباب الجالبة لها، والأسباب المانعة من الحصول عليها، مع بيان ثمرات هذه الولاية في ضوء القرآن الكريم؛ وذلك أن القرآن الكريم هو خير من بين حقيقة الولاية؛ حتى يكون طالب ولاية الله تعالى على بينة من أمره.

تساؤلات البحث يجيب هذا لبحث عن الأسئلة التالية:

١ـ ما المراد بالولاية التي جاء الحديث عنها في القرآن الكريم؟

٢ـ ماهي أقسام ولاية الله تعالى لخلقه؟

٣ـ ما الأسباب الجالبة لولاية الله تعالى؟

٤ـ ما هي الأسباب المانعة من ولاية الله؟

٥ـ ما هي ثمار ولاية الله تعالى لأوليائه في الدنيا والآخرة؟

أهداف البحث

١- بيان حقيقة ولاية الله تعالى.

٢- معرفة أقسام ولاية الله تعالى لخلقه.

٣- ذكر الأسباب الجالبة لولاية الله تعالى والأسباب المانعة من ذلك.

٤- معرفة ثمرات ولاية الله تعالى لعباده في الدنيا والآخرة.

حدود البحث

للبحث حدود موضوعية، وهي الآيات القرآنية التي تحدثت عن الولاية وما ارتبط بها من أقوال المفسرين، بالإضافة إلى الأحاديث النبوية التي تحدثت عن هذا الموضوع.

منهج البحث

سلك الباحث في بحثه المنهج الاستقرائي الوصفي؛ وذلك من خلال جمع الآيات التي تتحدث ولاية الله تعالى، وتقسيمها بحسب دلالاتها إلى مباحث، مع الاستفادة من أقوال المفسرين وآرائهم حول هذه الآيات.

الدراسات السابقة

الدراسات السابقة في موضوع الولاية قليلة جدا، وقد وقف الباحث على بعض الدراسات السابقة في هذا الموضوع ومن أبرزها ما يلي:

١ـ الولاية والأولياء في الإسلام، هى عبارة عن رسالة ماجستير للباحث الخضر عبد الرحيم أحمد، وقد نوقشت هذه الرسالة في جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية عام ١٤٠١هـ، وقد تحدث الباحث فيها حديثاً مطولا عن الأولياء وكراماتهم ومراتبهم، ونظرة الفرق الإسلامية لمفهوم الولي، وجاء حديثه عن الولاية حديثا عاما مجملا، ولم يتحدث عنها كدراسة موضوعية، وهو ما عنيت به هذه الدراسة.

٢ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ويعتبر من أقدم المراجع الإسلامية التي تحدثت عن أولياء الله تعالى، في مقابل أولياء الشيطان، وقسم أولياء الله تعالى بحسب إيمانهم إلى طبقتين سابقين ومقربين، ورد على القائلين: إن مرتبة الولاية فوق منزلة النبوة، ويغلب على مباحث هذا الكتاب الجوانب العقدية، وهو مالم أتناوله في هذا البحث.

٣. قطر الولي شرح حديث الولي، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، وكان منطلقه في هذا الكتاب شرح حديث " من عادى لي وليا..."[١]، ولم يتناول الموضوع من ناحية قرآنية موضوعية وهو ما راعيته في هذا البحث.

خطة البحث

اقتضت خطة البحث أن يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ثلاثة مباحث، وخاتمة:

المقدمة: ذكرت فيها، أهمية البحث، وأهدافه، مشكلة البحث، تساؤلاته، وحدود البحث، منهجية الباحث التي سار عليها، والدراسات السابقة في الموضوع، وخطة البحث.

وخطة البحث تتضمن ما يلي:

التمهيد: يشتمل على التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الأول : أقسام الولاية في القرآن الكريم، والأسباب الجالبة لها.

المبحث الثاني: الأسباب المانعة من الولاية في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: ثمار الولاية في القرآن الكريم.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

---

(١) سبق تخريجه في المقدمة.

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث

أولا: الولايةُ في اللغة

قال أهل اللغة :" الولاية (بفتح الواو وكسرها) فمن فتحها(الوَلاَيَةُ) فهي بمعنى المحبة والنصرة، ومن كسرها(الوِلاَيَةُ) فهي بمعنى الإِمارة؛ لأَن في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من العمل وكل ما كان من جنس (الوِلاية) نحو القِصارة والخِياطة فهي مكسورة، قاله الزجاج، وقال سيبويه: الوَلاَيَة (بالفتح) المصدر، والوِلاية(بالكسر) الاسم، مثل الإِمارة؛ لأَنه اسم لما توَلَّيْتَه وقُمْتَ به، فإِذا أَرادوا المصدر فتحوا، وقال ثعلب: كل من عبد شيئا من دون الله فقد اتخذه وليا، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أي: وليهم في نصرهم على عدوهم وقيل: وليهم أي يتولى ثوابهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم"[(١)].

وقال ابن فارس:"(ولي) الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على القرب، وكل من ولي أمر آخر فهو وليه"[(٢)].وقال الراغب الأصفهاني: " يقال للمؤمن: هو ولي الله ولا يقال في ذلك مولى، ولكن يقال: الله تعالى ولي المؤمنين ومولاهم،

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، ١٥/ ٤٠٦، باختصار، وينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، ٧/ ٣٨٠ باختصار وتصرف.

(٢) ابن فارس، أحمد بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، ٦/ ١٤١، باختصار.

فمن الأول قوله سبحان:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ومن الثاني قوله عز وجل:﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[الحج: ٧٨] "[(١)].

وفي بحثنا هذا سوف نتناول المعنى المراد من كلمة (وَلاية) مفتوحة الواو، والتي هي بمعنى المحبة لله تعالى والقرب منه رجاء حفظ الله تعالى لعبده ونصرته وتأييده، ولن نتناول المعنى المراد من كلمة (وِلاية) مكسورة الواو والتي بمعنى الإمارة والسلطة، فلها أبحاث أخرى تُبحث فيها.

ثانيا: الولايَةُ اصطلاحا

المعنى الاصطلاحي للوَلاية لا يختلف كثيرا عن المعنى اللغوي والذي يدل على القرب والمحبة والنصرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الوَلايَةُ: ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والتقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد. فإذا كان ولي الله هو المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليه معاديا له، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى

(١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، صـ ٨٨٥ باختصار وتصرف يسير.

وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة: ١]"[١]. وعرفها ابن القيم بقوله:" الوَلاَيَةُ عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه وليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا رياضة، وهي القرب من الله عز وجل فولي الله هو القريب منه المختص به "[٢]، وقال الدكتور محمد نعيم ياسين" لفظ الوَلاية مشتق من الولاء، وهو الدنو والتقرب، والوَلاية ضد العداوة، والولي عكس العدو، والمؤمنون أولياء الرحمن، والكافرون أولياء الطاغوت والشيطان؛ لقرب الفريق الأول من الله بطاعته وعبادته، وقرب الفريق الثاني من الشيطان بطاعة أمره وبعدهم عن الله بعصيانه ومخالفته[٣]، قال القحطاني: الوَلاية: هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهرا وباطنا، قال تعالى:﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة:

---

(١) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، صـ ٩ باختصار وتصرف.

(٢) ابن القيم الجوزية، أبوا عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي صـ ١٩٤.

(٣) محمد نعيم ياسين، الإيمان، أركانه. حقيقته. نواقضه، صـ ١٩٠ .

٢٥٧] "[١]كما عرِّفت الولاية بأنها: " التقرب وإظهار الود بالأقوال والأفعال والنوايا، لمن يتخذه الإنسان وليا"[٢].

ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي لمعنى الوَلاَيَةُ يتبين لنا: أن معناها يدور حول معاني المحبة والقرب والنصرة، فولي الله تعالى هو الذي يحب الله تعالى ويسعى للقرب منه بالعبادات والطاعات، وإذاكان العبد ولياً لله تعالى فإن الله تعالى يتولى أمره بأن يحفظه وينصره على من عاداه.

ثالثا: من معاني الولي في القرآن الكريم

مما له علاقة بمعنى الوَلاية ـ وهو مشتق منها ـ مصطلح الولي، وقد ورد له في القرآن الكريم عدة معان اصطلاحية منها:

١. الولي اسم من أسماء الله الحسنى، وقد ثبت هذا الاسم في قوله تعالى:﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ ﴾[الشورى: ٩]، فـ "الولي هو فعيل من الموالاة، والولي الناصر، وهو تعالى وليهم

(١) محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام، صـ ٧٠.

(٢) محماس بن عبد الله الجلعود، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، صـ ٢٨.

بأن يتولى نصرهم وإرشادهم، كما يتولى ذلك من الصبي وليه، وهو يتولى يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم"[1].

وقال ابن منظور:" الولي الناصر وقيل: المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها ومن أسمائه عز وجل: الوالي وهو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها. قال ابن الأثير: وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الوالي"[2] . وقال الإمام الغزالي وهو يتحدث عن معنى اسم الله الولي قال: " الولي هو المحب الناصر، ومحبته سبحانه وتعالى ظاهرة، وأما نصرته فإنه يقمع أعداء الدين وينصر أولياءه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ ﴾ [محمد: ١١] أي: لا ناصر لهم "[3].

٢. الولي: الرجل الصالح من عباد الله عباد الله المؤمنين، قال تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[يونس: ٦٢]، فالولي من عباد الله تعالى هو:" المؤمن بالله حقا، والمتقي له صدقا، العارف بالله

---

(١) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل صـ ٥٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ١٥/ ٤٠٥، مرجع سابق.

(٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، صـ ١٣٠، باختصار وتصرف يسير.

وصفاته، المواظب على الطاعات المتجنب للمعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات"[1]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية" فمن كان حبه لله وبغضه لله لا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله ولا يعطى إلا لله ولا يمنع إلا لله فهذا حال السابقين من أولياء الله"[2]، وقال العلامة ابن القيم:" من كان مؤمنا لله تقيا كان له وليا وفيه من الولاية بقدر إيمانه وتقواه"[3]، وقال ابن حجر العسقلاني: " ولي الله تعالى هو: "العالم بالله تعالى، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته"[4] وقال أبو حيان:" أولياء الله هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة [5].

٣. الولي: بمعني الآلهة والأوثان المعبودة من دون الله تعالى كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ ﴾[العنكبوت: ٤١] يعني آلهة"[6].

([1])الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، صـ ٣٢٩، وينظر: شيخنا العلامة، عبدالمجيد بن عزيز الزنداني، بينات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، ٣/ ١٦١.

[2]) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع فتاوى ابن تيمية، ٣٦ / ١٧٤.

([3])ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، بدائع الفوائد ، ٣/ ١٠٦.

([4])ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١١/ ٣٤٢ ، وينظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، قطر الولي على حديث الولي، صـ ٢٢٣.

([5]) أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط. ٦/ ٨١.

([6]) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، صـ ٦١٤.

٤ـ الولي: بمعنى الناصر والمعين في الشدائد والأزمات كقوله تعالى: ﴿ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠ ﴾ **[الأنفال: ٤٠]**[١]

---

(١) الفيروز أبادى، مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب ٥/ ٢٨١، وينظر: ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر صـ ٦١٤، مرجع سابق.

المبحث الأول: أقسام الولاية في القرآن الكريم، والأسباب الجالبة لها

تنقسم الولاية في القرآن الكريم إلى قسمين [(١)]، ولاية عامة تشمل الخلق جميعا مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، وولاية خاصة تشمل عباده المؤمنين، ولا يدخل في هذا النوع من الولاية الكفرة والمعرضين عن الله تعالى وعن طاعته، وسوف نتناول هذين القسمين من أقسام الولاية في هذا المبحث في مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: الولاية العامة في القرآن الكريم

الله تعالى يتولى جميع خلقه ولاية عامة؛ لأنه ربهم وخالقهم، وعلى هذا تكون الولاية العامة هي:" الولاية على العباد بالتدبير والتصريف، وهذه تشمل المؤمن والكافر وجميع الخلق، فالله هو الذي يتولى عباده بالتدبير والتصريف والسلطان وغير ذلك" [(٢)]، وولاية الله العامة لجميع الخلق لها ثلاثة مظاهر، نتناولها على النحو التالي:

---

(١) ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، ٣/ ٦٢١، مرجع سابق.

(٢) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، ١٠/ ٦٣٩. وينظر: خالد بن عبد الرحمن الحسينان، هكذا كان الصالحون ص ٣٠

المظهر الأول: رزق الله تعالى لجميع خلقة

من أجل مظاهر ولاية الله العامة لجميع خلقة، أنه سبحانه وتعالى يرزقهم جميعا، بدون تفرقه بين مؤمنهم وكافرهم أوبين صالحهم وطالحهم، فهم جميعا من خلقة وهو يتولى أمورهم جميعا، فالغيث والمطر، الذي هو أساس قيام حياة الناس جميعا، وبه تصلح أرزاقهم ومعايشهم، فإن الله سبحانه وتعالى ينزله على جميع خلقه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨] ففي هذه الآية:" تعديد نعم الله تعالى على خلقه الدالة على وحدانيته، ومن ذلك إنزاله للغيث بعد قنوطهم، ونشره للرحمة بعد إياسهم؛ فهو بذلك المولى الذي يستحق أن يعبد دون ما سواه من الأنداد؛ لأنه المتولي لأحوال عباده ومن هذه أفعاله، فهو﴿ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ الذي تنفع ولايته، وتحمد أفعاله ونعمه"[1] .

وقد نعى الله تعالى في كتابه الكريم على المشركين الذين اتخذوا من دونه أولياء فعبدوهم من دون الله، مع أنهم لم يرزقونهم ولم يطعمونهم شيئا، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ

---

(1) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٥/ ١٦٠ باختصار وتصرف.

أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[الأنعام: ١٤]، ففي هذه الآية يأمر الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين: أني لن أتخذ من دون الله وليا من معبوداتكم التي توالونها تعبدونها من دون الله تعالى: " لأن الوَلاية الحقة هي لله وحده، فاتخاذ أي ولي معه ترك لولاية الله تعالى، والولي يطلق بمعنى النصير، وبمعنى المعبود، وقد ذكر سبحانه على لسان نبيه الكريم عملين له سبحانه يوجبان أن ينفرد وحده بالولاية و بالعبادة أحدهما: ما ذكره الله سبحانه وتعالى في قوله:﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾أي منشئهما على غير مثال سبق، ابتداء حيث لم تكونا من قبل الأمر الثاني: ما ذكره الله سبحانه وتعالى في قوله:﴿ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُ ﴾ والمراد أن الله لا يحتاج، وغيره يحتاج، فهو يطعم كل من في هذا الوجود، ويمده بأسباب الحياة والنماء ولا يطعمه أحد" [(١)].

فمن مظاهر ولاية الله العامة لجميع خلقه أنه يرزقهم ويطعمهم ويمدهم بكل أسباب الحياة والعيش، ثم ترك لهم الحرية المطلقة في أن يوالوه فيعبدونه، أو في أن يتخذوا من دونه أولياء لا تنفعهم شيئاً ولا تضرهم. وسيتحملون تبعات اختيارهم هذا في الآخرة والآخرة.

---

(١) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، زهرة التفاسير، ٥/ ٢٤٥٣ باختصار وتصرف يسير.

المظهر الثاني: إحياء الله تعالى جميع الخلق بعد مماتهم

من مظاهر ولاية الله العامة لجميع الخلق أنه سوى بينهم في قضة الخلق والإيجاد، فلم يميز بين خلق وخلق، باعتبار قربهم أو بعدهم منه سبحانه وتعالى، ثم يسوي بينهم مرة أخرى عند إحيائهم للبعث والنشور، فيتولى بعثهم جميعا على هيئة واحدة بلا اختلاف ودون تمييز، قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩﴾ [الشورى: ٩]، ففي هذه الآية ينكر الله تعالى على المشركين الذين اتخذوا من دونه أولياء" يتولونهم بعبادتهم إياهم، فقد غلطوا أقبح غلط، فالله هو الولي الذي يتولاه عبده بعبادته وطاعته، والتقرب إليه بما أمكن من أنواع القربات، وهو يتولى عباده عموما بتدبيره، ونفوذ القدر فيهم، وتربيتهم بلطفه، وإعانتهم في جميع أمورهم﴿ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ أي: هو المتصرف بالإحياء والإماتة، ونفوذ المشيئة والقدرة، فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له"(١).

فكان الأصل في المشركين أن يتخذوا الله وليا؛ لأنه سبحانه المتولي لهم في جميع مراحلهم ابتداء من توليه لخلقهم ثم تولى أمور معاشهم وحياته، وبعد ذلك

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، صـ ٧٥٢ باختصار، وتصرف يسير.

سيتولى سبحانه وتعالى موتهم وبعثهم للحساب والعقاب، وبسبب غفلتهم تناسوا كل ذلك واتخذوا من دون الله أولياء لا تملك لهم ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا نشورا.

المظهر الثالث: إلى الله المرجع والمصير

ومن مظاهر ولاية الله تعالى العامة لجميع خلقه، أن مرجعهم مصيرهم إليه وحده، وهذا الأمر لا يقدر عليه أحد من الأولياء الذين اتخذهم بعض الناس في الدنيا أولياء من دون الله، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢ ﴾[الأنعام: ٦٢]، والمتأمل في هذه الآية يجد أن الله تعالى وصف ذاته الكريمة، بأنه المولى الحق، أي ذو الولاية الحقة والعامة لجميع خلقة، وفي هذا إشارة إلى أن ولاية غيره من الأولياء باطلة؛ وذلك أن الله هو" ﴿ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ ﴾ من دون الآلهة المدعاة، فهو مولاهم الذي أنشأهم، ثم مردهم إليه عندما يشاء؛ ليقضي فيهم بحكمه بلا معقب﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾، فهو وحده يحكم، وهو وحده يحاسب، وتصور المسلم للأمر على هذا النحو كفيل بأن ينزع كل تردد في إفراد الله سبحانه بالحكم – في هذه الأرض – في أمر العباد، ومما يُحاسب الناس على أساسه يوم القيامة توحيد الحاكمية في الدنيا، أما حين يحكم الناس في الأرض بشريعة غير شريعة الله؛ فعلام يحاسبون في الآخرة؟ أيحاسبون وفق شريعة الأرض البشرية التي كانوا يحكمون بها؛ ويتحاكمون إليها؟ أم يحاسبون وفق شريعة الله السماوية التي لم يكونوا يحكمون بها؛ ولا يتحاكمون

إليها؟ إنه لا بد أن يستيقن الناس أن الله محاسبهم على أساس شريعته هو لا شريعة أوليائهم من الخلق والعبيد"[١].

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يونس: ٣٠]، ففي يوم القيامة تجد كل نفس جزاء ما عملت من خير أوشر ويكون مرجعهم إلى مولاهم الحق لحسابهم وعقابهم، ووصف الله تعالى ذاته في هذه الآية أنه المولى الحق؛ وذلك أن لفظ المولى" يطلق على متولي أمور غيره وموفر شؤونهم، والحق: الموافق للواقع والصدق، أي ردوا إلى الإله الحق دون الباطل، والوصف بالحق هو وصف المصدر في معنى إلحاق الولاية أي: دون الأولياء الذين زعموهم باطلا"[٢]

.

(١) سيد قطب إبراهيم ،فى ظلال القرآن، ٢/ ١١٢٣ باختصار وتصرف يسير.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير ، ١١/ ٢٩٥.

المطلب الثاني: الولاية الخاصة في القرآن الكريم

القسم الثاني من أقسام ولاية الله تعالى الولاية الخاصة وهي:" أن يتولى الله العبد بعنايته وتوفيقه وهدايته، وهذه خاصة بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[يونس: ٦٢ – ٦٣] "[(١)] وهناك ثلاثة أسباب من تحقق بها نال مرتبة الولاية الخاصة من الله تعالى، وهذه الأسباب نتناولها على النحو التالي:

السبب الأول: الإيمان بالله تعالى

الإيمان بالله تعالى هو أساس كل خير في الدنيا، وسبب النجاة لصاحبه في الآخرة، ومن تحقق في الدنيا بصفات المؤمنين كان ولياً من أولياء الله تعالى، وقد

---

(١) ابن عثيمين، محمد بن صالح، مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٦٤٠، وينظر: خالد بن عبد الرحمن الحسينان، هكذا كان الصالحون صـ ٣٠.

أشار الله تبارك وتعالى إلى هذا السبب في كثير من الآيات القرآنية في كتابه الكريم، ومن هذه الآيات قوله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس: ٦٢ -٦٤]، قال السعدي في تفسيره لهذه الآية:" يخبر تعالى عن أوليائه وأحبائه، ويذكر أعمالهم وأوصافهم، وثوابهم فيقول تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ فيما يستقبلونه مما أمامهم من المخاوف والأهوال ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ على ما أسلفوا p لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال، وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثبت لهم الأمن والسعادة، والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، ثم ذكر وصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، ثم قال تعالى عنهم: ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾، أي صدقوا في إيمانهم، باستعمال التقوى، وذلك بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله تعالى وليا، ثم قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾، أما البشارة في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه

العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق، وأما في الآخرة، فأولها البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ [فصلت: ٣٠]،وفي القبر ما يبشر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم، وفي الآخرة تمام البشرى بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم"[١].

فالإيمان بالله تعالى أول سبب من أسباب نيل ولاية الله تعالى، وحقيقة هذا الإيمان ما قام على أركان الإيمان الثلاثة قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان، وليس مجرد ادعاء لنيل مرتبة الولاية بدون عمل، والناس يتفاوتون في نيل ولاية الله تعالى بحسب إيمانهم وتقواهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيمانا وتقوى كان أكمل ولاية لله، فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى"[٢].

فإيمان أولياء الله تعالى إيمان متمكن من نفوسهم، فقد وقر في القلوب، وصدقته الأعمال الصالحة، وبهذا الإيمان ينال المؤمن مرتبة الولاية، ومن جميل

([١]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق صـ ٣٦٨، باختصار وتصرف يسير.

([٢]) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١١/ ١٧٥، مرجع سابق.

التعبير القرآني في هذه الآية أنه عبر عن الإيمان الذي تنال به ولاية الله تعالى:" بالفعل الماضي لبيان أنه كان كاملا باليقين، لم يزلزله شك ولم يحصل بالتدريج "[1].

ومن الآيات الدالة على أن الإيمان سبب من أسباب نيل مرتبة ولاية الله تعالى، قولة تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]،قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" يعني نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ يعني بذلك: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان؛ وإنما جعل ﴿ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ للكفر مثلا؛ لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان والعلم بصحته وصحة أسبابه، فأخبر تعالى ذكره عباده أنه ولي المؤمنين، ومبصرهم حقيقة الإيمان وسبله وشرائعه وحججه، وهاديهم، فموفقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك، بكشفه عنهم دواعي الكفر"[2].

---

(١) محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، ١١/ ٣٤٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، ٥/ ٤٢٤ باختصار.

فالله تعالى يتولى أهل الإيمان بهذه الولاية الخاصة، وفي المقابل فإن أهل الكفر محرومون من هذا النوع من الولاية قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾[محمد: ١١]، والمعنى أي وليهم وناصرهم؛ لأن المراد بالمولى في هذه الآية الناصر، كما قال ابن عباس وغيره وقال قتادة: نزلت يوم أحد والنبي صلى الله عليه وسلم في الشعب، إذ صاح المشركون: يوم بيوم، لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قولوا الله مولانا ولا مولى لكم" ومعنى قوله تعالى:﴿ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ أي لا ينصرهم أحد من الله"[(١)]. وقد بين تعالى في آيات من كتابه الكريم في آيات كثيرة أنه ولي المؤمنين، وأنهم أولياؤه كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦ ﴾ [المائدة: ٥٥ – ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ ﴾ [الأعراف: ١٩٦] وقوله تعالى في

---

(١) القرطبي، محمد بن أحمد الانصاري، الجامع لأحكام القرآن، ١٦/ ٢٣٤ باختصار وتصرف يسير، وينظر: بن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٥/ ١١٣.

الملائكة﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سبأ: ٤١]، إلى غير ذلك من الآيات في كتاب الله تعالى.

السبب الثاني: التقوى

إذا كان السبب الأول لنيل ولاية الله تعالى هو الإيمان بالله تعالى، فقد جاء ذكر التقوى بعده مباشرة وعطفت عليه؛ وذلك أن تقوى الله تعالى تدفع صاحبها لفعل المأمورات وترك المنهيات، وبهذا يصل العبد إلى مرتبة الولاية الكاملة. قال تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٣]، ففي هذه الآية دل قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ على أن التقوى من أسباب نيل العبد لمرتبة ولاية الله تعالى، والمتأمل في هذه الآية يجد أنه سبحانه وتعالى حكى عن أوليائه المتقين بقوله:﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾، فقد عبَّر الله عنهم بصيغة الفعل المضارع في قوله ﴿يَتَّقُونَ﴾وهذا الفعل يدل على التجدد والاستمرار؛ وذلك أن" التقوى تتجدد دائما بحسب متعلقاتها، والمعنى الجامع فيها أنها اتقاء كل ما لا يرضي الله تعالى من ترك واجب ومندوب، وفعل محرم ومكروه، واتقاء مخالفة سنن الله تعالى في خلقه من أسباب الصحة والقوة والنصر والعزة وسيادة الأمة، وهذه الآية هي أقوى ما يعتمد عليه في تفسير حقيقة الولي شرعا "[1]

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١١/٢١٨، مرجع سابق ، وينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ١١/ ٣٤٢،مرجع سابق، باختصار، وتصرف.

وقد كان المشركون في زمان النبي صلى الله عليه وسلم يقومون على خدمة بيت الله الحرام وسقاية الحجيج، وظنوا أنهم بفعلهم هذا قد صاروا من أولياء الله تعالى، وأن الله تعالى لن يعذبهم فرد الله تعالى عليهم هذا الإدعاء، وبين لهم أن أولياءه حقا هم أهل التقوى، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾[الأنفال: ٣٤]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام، ولم يكونوا أولياء الله ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ يعني: الذين يتقون الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن أولياء الله المتقون، بل يحسبون أنهم أولياء الله"[1] .

وزعم اليهود أنهم أولياء الله تعالى، فحرفوا دين الله تعالى الذي أنزله إليهم، وكذبوا كثيرا من أنبياء الله ورسله، وقتلوا آخرين، وظلموا أنفسهم باقتراف كثير من الذنوب والمعاصي، واتبعوا أهواءهم في مسائل كثيرة، وظنوا أن الله تعالى لن

([1]) الطبري، جامع البيان ، ١٣ / ٥١٩، مرجع سابق.

يعاقبهم؛ لأنهم أولياءه وأحبابه حسب زعمهم، فأنزل الله تعالى على رسوله آيات تبين حقيقة اليهود وتذكرهم أن ولاية الله تعالى لا تنال إلا بالتقوى قال تعالى:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الجاثية: ١٨ – ١٩]، قال الشيخ الشنقيطي في تفسيره لهذه الآية:" ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه ولي المتقين، وهم الذين يمتثلون أمره ويجتنبون نهيه، وذكر في موضع آخر أن المتقين أولياؤه فهو وليهم وهم أولياؤه؛ لأنهم يوالونه بالطاعة والإيمان، وهو يواليهم بالرحمة والجزاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢]،ثم بين المراد بأوليائه في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٣]، فقوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ كقوله تعالى في آية الجاثية: ﴿ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ "(١)

---

(١) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٧/ ٢٠١.

السبب الثالث: الصلاح

إن صلاح الإنسان واستقامته على أمر الله تعالى سبب من أسباب نيله ولاية الله تعالى، فيحفظه الله تعالى بذلك من كيد أعدائه ومن مؤامراتهم، ويقيه الله تعالى كثيرا من الشرور والمخاطر، وهذا ما حصل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحين تآمر عليه أعداؤه من كفار ويهود ومنافقين، طمأنه الله تعالى بأنه سوف يتولاه فيرد كيدهم ويحبط مؤامراتهم، وأمر الله تعالى سوله صلى الله عليه وسلم أن يخاطب أعداءه قائلا:﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾[الأعراف: ١٩٥ – ١٩٦]، "قال الحسن البصري: إن المشركين كانوا يخوفون الرسول صلى الله عليه وسلم بآلهتهم، فقال تعالى:﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ليظهر لكم أنه لا قدرة لكم على إيصال المضار إلي، بوجه من الوجوه" [١].

ففي هذه الآية يأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار " ادعوا شركاءكم الذين تزعمون أن لهم قدرة على النفع والضر ثم كيدون أنتم وهم جميعا بما شئتم من وجوه الكيد ﴿ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ أي: فلا تمهلوني، ولا تؤخرون

([١])القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، محاسن التأويل، ٥/ ٢٤٠.

إنزال الضرر بي من جهتها، وليس بعد هذا التحدي لهم والتعجيز لأصنامهم شيء، ثم قال لهم:﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡكِتَـٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ أي: كيف أخاف هذه الأصنام التي هذه صفتها وليَ وليّ ألجأ إليه وأستنصر به وهو الله عز وجل الذي نزل الكتاب، وهذه الجملة تعليل لعدم المبالاة بها، وولي الشيء هو الذي يحفظه ويقوم بنصرته، ويمنع منه الضرر"[1].

وهذه الولاية ليست خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم، بل إن الله تعالى يتولى كل مؤمن صالح إلى يوم القيامة؛ لهذا قال تعالى في ختام هذه الآية ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ "أي أنه لا يجعل الولاية خصوصية للرسول صلى الله عليه وسلم، بل يقول لكل واحد من أتباعه: فكن صالحا في أي وقت، أمام أي عدو، ستجد الله وهو يتولاك بالنصر، وعندما يعمم الله تعالى الحكم؛ فهو ينشر الطمأنينة الإيمانية في قلوب أتباعه صلى الله عليه وسلم، وكل من يحمل من أمر دعوته صلى الله عليه وسلم شيئا ما سوف يكون له هذا التأييد، فهو سبحانه يتولى الصالحين، وأول مراتب الصلاح أن يبقى الصالح على صلاحه، أو أن يزيده صلاحا"[2].

([1]) الشوكاني، محمد بن على، فتح القدير، ٢/ ٣١٧.

([2]) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي ، ٨/ ٤٥٣٠ باختصار وتصرف يسير .

فصلاح الإنسان سبب من أسباب نيل العبد ولاية الله تعالى، ولأهمية الصلاح فإن تأثيره يمتد إلى أبناء الرجل الصالح وذريته بأن يتولى الله تعالى أمرهم من بعد أبيهم الصالح، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

فليحرص المسلم على الأخذ بأسباب نيل مرتبة الولاية، فبمقدار إيمانه وتقواه، وصلاحه يكون حظه من ولاية الله تعالى بنصره وحفظه وتأييده.

المبحث الثاني: الأسباب المانعة من الولاية في القرآن الكريم

في المبحث السابق وقفنا على أهم أسباب تحصيل ولاية الله تعالى لعباده التي جاء ذكرها في كتاب الله تعالى، وفي هذا المبحث سوف نقف على أهم الأسباب المانعة من حصول هذه الولاية، وهذه الأسباب متعددة ومتنوعة، منها ما يصل بصاحبه للكفر، ومنها ما يوقع صاحبه في النفاق والكبر والظلم واتباع الهوى والوقوع في المعاصي والسيئات، وسوف نتناول هذه الأسباب على النحو التالي:

السبب الأول: الكفر بالله تعالى

الكفر بالله تعالى من أعظم أسباب الحرمان من ولاية الله تعالى، وأهل الكفر قد استحقوا أن يلعنهم الله تعالى وأن يطردهم من رحمته ويدخلهم نار جهنم، ولن يجدوا لهم وليا ينصرهم من هذا المصير، حتى سادتهم وكبراءهم الذين اتخذوهم أولياءهم من دون الله تعالى في الدنيا، فأطاعوهم من دون الله تعالى بقصد جلب منفعة لهم أو دفع مضرة عنهم، لن ينجونهم من ذلك المصير، وصدق الله القائل:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۝٦٧ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤ – ٦٨]، واللعن له معانٍ كثيرة، قال الإمام القرطبي:" والمعنى طردهم الله وأبعدهم من رحمته، وقيل: طردهم الله وأبعدهم من توفيقه وهدايته، وقيل: طردهم الله وأبعدهم من كل خير"(١)، وبعد أن بين الله تعالى أنه طرد الكافرين من رحمته، ذكر ما أعدلهم من السعير في نار جهنم، وأنه لن يخلصهم من ذلك العذاب أولياؤهم الذين أطاعوهم من دون الله في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ أي: أن الله تعالى قد أعد لأعدائه من الكفرة نارا شديدة الإيقاد، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ قال أهل التفسير أي:" مطيلين المكث فيها مستمرين لا أمل لخروجهم منها، ﴿وَلَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾؛ لأن المعذب لا يخلصه من العذاب إلا صديق يشفع له أو ولي ناصر يدفع عنه، ولا ولي للكافرين في الآخرة يشفع ولا نصير يدفع، ولما بين أنه لا ولي للكافرين ولا ناصر، بين أن وجوههم ـ التي هي أشرف أعضاءهم ـ تقلب في نار جهنم، فما ظنك بسائر أعضائهم التي تجعل جُنَّة للوجه ووقاية له؟، فإن الإنسان يدفع عن وجهه الضربة اتقاء بيده، فإن من يقصد رأسه ووجهه تجده يجعل يده

---

(١) القرطبي، الجامع الأحكام القرآن، ١٤/ ٢٤٨، مرجع سابق، بتصرف يسير.

جنة أو يطأطئ رأسه كي لا يصيب وجهه، وتخصيص الوجوه بالذكر من بين سائر الأعضاء؛ لأن حر النار يؤذي الوجوه أشد مما يؤذي بقية الجلد"[١] .

ثم ذكر الله تعالى بعض معاذير أهل الكفر وهم في نار جهنم فقد ذكروا أن سبب ضلالهم في الدنيا موالاتهم للسادة والكبراء وهذه الموالاة قادتهم لطاعتهم بدلا من طاعة لله ورسوله، فقال الله تعالى حكاية عنهم أنهم قالوا: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾، وقد اختلف أهل التفسير في المراد بالسادة الذين اضلوا من والوهم في الدنيا، " قال طاووس ابن كيسان: سادتنا: يعني الأشراف، وكبراءنا: يعني العلماء، وقال قتادة: هم المطاعون في غزوة بدر، والأظهر العموم في القادة والرؤساء في الشرك والضلالة، أي أطعناهم في معصيتك فيما دعونا إليه، وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئا، فإذا هم ليسوا على شيء، والتعبير عنهما بعنوان السادة والكبراء لتقوية الاعتذار وإلا فهم في مقام

---

(١) الرازي، محمد بن عمر التميمي، مفاتيح الغيب، ٢٥/ ٢٠٠، اختصار، وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/ ١١٦، مرجع سابق.

التحقير والإهانة، وقد أطاعوا السادة والكبراء في الدنيا ؛لأنهم كانت لهم قوة وبطشا بهم لو لم يطيعوهم "[1].

فمن أسباب ضلال الكفار في الدنيا طاعتهم لساداتهم وكبرائهم، واتخاذهم أولياء من دون الله تعالى، قال ابن عاشور" وكبراءهم ما تأتى لهم إضلالهم إلا بسبب موالات الضعفاء لهم وطاعتهم الطاعة العمياء واشتغالهم بطاعتهم عن النظر والاستدلال فيما يدعونهم إليه هل هو حق أو فساد، ووضعهم لأقوال سادتهم وكبرائهم موضع الترجيح على ما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقولهم: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ مساويا لقولهم في سورة الأعراف﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٨]، وهذا تعريض بإلقاء تبعة الضلال عليهم، وأن العذاب الذي أعد لهم يسلط على أوليائهم الذين أضلوهم، ووصف العذاب بالضعفين إشارة إلى أن الكبراء استحقوا عذابا لكفرهم وعذابا لتسببهم في كفر أتباعهم، وقد ذكر الله تعالى مصيرهم هذا بقوله:﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ يعني أن الكبراء

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ٦/ ٤٨٣، وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ، ١٤/ ٢٤٨، مرجع سابق، الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، روح المعاني ١١/ ٢٦٨ باختصار وتصرف.

استحقوا مضاعفة العذاب لضلالهم وإضلالهم، وأتباعهم استحقوا مضاعفة العذاب، لضلالهم ولتسويد سادتهم وطاعتهم الطاعة العمياء"[١].

فالكفر بالله تعالى أهم سبب من أسباب الحرمان من ولاية الله تعالى للعبد؛ لأن الكفر يؤدي بصاحبه إلى أن تحل عليه لعنة الله، وعندها يطرده الله تعال من رحمة الله، فيكون من أهل النار، ولن يجد له ولياً يخرجه من هذا المصير الأليم.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/١١٨ ،مرجع سابق، باختصار وتصرف.

السبب الثاني: النفاق

المنافقون والوا الله ورسوله والمؤمنين في الظاهر، ووالوا أعداء الله تعالى ورسوله في الباطن، وقد أفاض القرآن الكريم في الحديث عن المنافقين، وذكر كثيرا من صفاتهم؛ حتى يحذر المسلون من سلوك مسلكهم والسير في طريقهم، وقد كانوا يبالغون في إظهار الولاء لله ورسوله ظاهرا، وكانت الأحداث الجسام وحدها هي التي تكشفهم على حقيقتهم، وتبين زيف ولائهم، ففي غزوة الأحزاب رأي المنافقون أن كل المؤشرات تدل على أن الغلبة للأحزاب على المسلمين، وأخذوا يتندرون من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وذلك عندما" أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتي المدينة فكبر وكبر المسلمون، ثم ضرب الثانية فصدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها فكبر وكبر المسلمون، ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها[١] فكبر وكبر المسلمون فسئل عن ذلك فقال ضربت الأولى فأضاءت لي قصور

(١) (اللابة) الأرض التي قد ألبستها حجارة سود وجمعها لابات، ما بين الثلاث إلى العشر فإذا كثرت فهي اللاب، قال النضر: لا تكون اللابة إلا حجارة سود، ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، غريب الحديث، ٢/ ٣٣٣.

الحيرة ومدائن كسرى وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثانية فأضاءت لي قصور الحمراء من أرض الروم وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثالثة فأضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فقال المنافقون: ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزل القرآن: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٢] "[١] .

وحتى لا يشارك المنافقون في هذه المواجهة، أخذوا يختلقون الأعذار الكاذبة، كقولهم: إن بيوتهم عورة، فهم في الظاهر يريدون العودة إليها لحماية أهليهم وذراريهم، والحقيقة إنما يريدون الفرار من مواجهة أوليائهم من الكفار واليهود،

---

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، لباب النقول في اسباب النزول، صـ ١٥٧ وينظر: الواحدي، علي بن أحمد بن محمد بن علي، أسباب نزول القرآن، صـ ١٠٣،وينظر: الطبري، جامع البيان ٢٠/٢٢٤ ، مرجع سابق، وهذه القصة رواها الإمام أحمد في مسنده برواية أخرى مختصرة، فعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال: "مكث النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم يحفرون الخندق ثلاثا لم يذوقوا طعاما، فقالوا: يا رسول الله إن ههنا كدية من الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **رشوها بالماء**" فرشوها ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ المعول أو المسحاة ثم قال:" **بسم الله**" فضرب ثلاثا فصارت كثيبا يهال قال جابر: فحانت مني التفاتة، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شد على بطنه حجرا" مسند أحمد، ٣/١٢ برقم(١٤٢٤٩)، قال شعيب الأرناؤوط معلقاً على هذه القصة: إسنادها صحيح على شرط البخاري رجالها ثقات رجال الشيخين، غير أيمن المكي والد عبد الواحد فمن رجال البخاري.

فكشفت غزوة الأحزاب حقيقة ولاء المنافقين، وأظهرت أنهم إنما يوالون الكفرة واليهود؛ لظنهم أنهم سيجدون عندهم العزة والمنعة، وقد عقب الله تعالى على موقفهم هذا أنه لن يعصمهم أحد ممن والوهم، إذا أراد الله بهم ضرا أو نفعا؛ لأنهم قد حرموا من ولاية الله تعالى ونصرته قال تعالى:﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٧]، يأمر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول للمنافقين المستأذنين هربا من الموت، إن استئذانهم لن ينجيهم من الموت إذا قدره الله وقضاه، ولا ولي لهم ولا ناصر يعصمهم من قضاء الله وقدره ، قال الإمام الطبري رحمه الله عند هذه الآية أي: " لن يجد هؤلاء المنافقون إن أراد الله بهم سوءا في أنفسهم وأموالهم﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا ﴾ يليهم بالكفاية ﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ ينصرهم من الله فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء"[1] قال سيد قطب رحمه الله تعالى عند هذه الآية: " إن قدر الله هو المسيطر على الأحداث والمصائر، يدفعها في الطريق المرسوم، وينتهي بها إلى النهاية المحتومة، لن ينفع الفرار في دفع القدر المحتوم عن فار، فإذا فروا فإنهم ملاقون حتفهم المكتوب، في موعده القريب، ولا عاصم من الله ولا من يحول دون نفاذ مشيئته، سواء أراد بهم سوءا أم

---

(1) تفسير الطبري، جامع البيان ٢٠/ ، ٢٢٩ ، مرجع سابق.

أراد بهم رحمة، ولا مولى لهم ولا نصير، من دون الله، يحميهم ويمنعهم من قدر الله، فالاستسلام الاستسلام، والطاعة الطاعة، والوفاء الوفاء بالعهد مع الله، في السراء والضراء" [١]

فالنفاق من أسباب حرمان العبد من ولاية الله تعالى؛ وذلك أن المنافقين والوا الله ورسوله والمؤمنين في الظاهر ووالوا أولياءهم من اليهود والكفرة في الباطن، فحرمهم الله ولايته وأوكلهم الله تعالى إلى ولاية من والوهم من البشر، وهى ولاية لا تملك لهم ضرا ولا نفعا.

---

[١] سيد قطب، في ظلال القرآن ٦/ ٥٨ مرجع سابق.

السبب الثالث المعاصي والسيئات

ادعى جماعة من أهل الكتاب من يهود ونصارى أنهم أولياء الله وأحباؤه، وزعموا أنه لن يدخل الجنة إلا منهم وقد أخبر الله تعالى عن أمنياتهم هذه بقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾[البقرة: ١١١]، وقد رد الله على أمانيهم هذه وبين أن نيل ولاية الله تعالى ودخول الجنة لا يكون بمجرد الأماني، بل إن ذلك مرهون بالإيمان والعمل الصالح، وترك المعاصي والسيئات، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء: ١٢٣ – ١٢٤]، قال أهل التفسير عند هذه الآية:" قال ابن عباس رضى الله عنه: إن اليهود والنصارى قالوا: لا يدخل الجنة غيرنا، وقالت قريش: إنا لا نُبْعث فأنزل الله: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾. وقال السدي: التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى، فقال اليهود للمسلمين: نحن خير منكم، ديننا قبل دينكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل

نبيكم، ونحن على دين إبراهيم، ولن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى مثل ذلك، فقال المسلمون: كتابنا بعد كتابكم، ونبينا بعد نبيكم، وقد أُمِرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم، فنحن خير منكم، نحن على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ولن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا، فأنزل الله: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾، فأفلج الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان الأخرى"[١].

وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ شق ذلك على المسلمين وبلغت منهم ما شاء الله تعالى فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:" قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة

---

(١) الطبري، جامع البيان ٩/ ٢٢٨، مرجع سابق، وينظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، الرازي، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ١٠٧٠، وينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير. ١/ ٤٧٥،والواحدي، أسباب النزول صـ ١٨٤ مرجع سابق، والسيوطي، لباب النقول في أسباب النزول صـ ٧٢. ، مرجع سابق.

ينكبها أو الشوكة يشاكها"[١]، وقد اختلف أهل التفسير في الذين عناهم الله تعالى في قوله:﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾. فقال مسروق والسدي: المراد بهم"، أهل الإسلام، وقال مجاهد: المراد بهم أهل الشرك به من عبدة الأوثان، وقال الضحاك: المراد بهم أهل الكتاب خاصة"[٢].

قال الإمام الطبري:" وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، ما قاله مجاهد: من أنه عني بقوله:﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ ﴾ مشركي قريش، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن المسلمين لم يجر لأمانيهم ذكر فيما مضى من الآي قبل قوله:﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ ﴾ وإنما جرى ذكر أماني نصيب الشيطان المفروض، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ ﴾[النساء: ١١٩]، فإلحاق معنى قوله جل ثناؤه:﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ بما قد جرى ذكره قبل، أحق وأولى من ادعاء تأويل فيه، لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل، ولا أثر عن

---

(١) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه، ٤/ ١٩٩٣، برقم (٢٥٧٤).

(٢) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري، النكت والعيون، ١/ ٥٣١، وينظر: ابن الجوزي، زاد المسير ٢/ ١١٣ مرجع سابق، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤١٧، مرجع سابق.

الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا إجماع من أهل التأويل، وإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الآية يكون: ليس الأمر بأمانيكم، يا معشر أولياء الشيطان وحزبه، التي يمنيكموها وليكم عدو الله، من إنقاذكم ممن أرادكم بسوء، ونصرتكم عليه وإظفاركم به، ولا أماني أهل الكتاب، فإن الله مجازي كل عامل منكم جزاء عمله، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا، "[1] .

وهذه الآية القرآنية الكريمة تبين قاعدة من قواعد الحساب والعقاب وهي:" إن ميزان الثواب والعقاب ليس موكولا إلى الأماني، إنه يرجع إلى أصل ثابت وهو: إن صاحب السوء مجزى بالسوء؛ وصاحب الحسنة مجزى بالحسنة، ولا محاباة في هذا ولا مماراة، وأن الإيمان شرط لقبول الأعمال الصالحة، ولا قيمة عند الله لعمل لا يصدر عن الإيمان؛ لأن الإيمان بالله هو الذي يجعل العمل الصالح يصدر عن تصور معين، لا استجابة لهوى شخصي، ولا فلتة عابرة لا تقوم على قاعدة"[2].

فالإيمان بالله تعالى وعمل الصالحات من أسباب نيل ولاية الله تعالى، وهما طريقا النجاة في الدنيا والفوز في الآخرة، ولا ينفع في هذا الجانب الانتساب إلى دين أو طائفة أو ملة، تخالف شرع الله ودينه، ومن بنى دينه على مثل هذه الأماني والأحلام لن يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ينجيه من عذاب الله وسخطه، قال

([1]) الطبري، جامع البيان، ،٩/ ٢٢٨،مرجع سابق.

([2]) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢/ ٢٤٣، مرجع سابق، باختصار وتصرف.

الشيخ المراغي رحمه الله:" ففي هذه الآية من العبرة والعظة ما يهدم صروح الأماني التي يأوي إليها الكسالى وذوو الجهالة من المسلمين الذين يظنون أن الله يحابى من يسمى نفسه مسلما ويفضله على اليهودي والنصراني لأجل هذا اللقب، فالذين يفخرون بالانتساب إليه وقد نبذوه وراء ظهورهم وحرموا الاهتداء بهديه، هم في ضلال مبين"[١].

([١]) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، م ٥/ ١٦٤، باختصار.

السبب الرابع: اتباع الهوى

أنزل الله تعالى على أهل الكتاب كتبا سماوية كثيرة على أهل الكتاب، فيها بيان حكم الله في كل أمور دينهم ودنياهم؛ ولأن بعض أحكام الله تعالى ما وافقت أهواء ورغبات الأحبار والرهبان، فقد عملوا على تحريفها على نحو يتوافق مع أهوائهم ويحقق رغباتهم، ولما أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جعله مهيمنا على الكتب السابقة وناسخا لها؛ عند ذلك حسد أهل الكتاب المسلمين على هذه النعمة وعملوا جاهدين على تحريف بعض أحكام القرآن الكريم، وقد قاموا بعدة محاولات في هذا الجانب، فقد ذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة رغبة منهم في تحقيق ذلك، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم آيات فيها تهديد من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، أنه إذ اتبع أهواء أهل الكتاب في ذلك، فإنه لن يجدله من دون الله وليا ولا واق، قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[الرعد: ٣٧]، أي: "وكما أنزلنا الكتب على

الأنبياء بلغاتهم، أنزلنا عليك القرآن ﴿ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ قال ابن عباس: يريد ما فيه من الفرائض، وقال أبو عبيدة: دينا عربيا"[١].

وقال أهل التفسير: والمراد بقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم ﴾ " أي أهواء المشركين في عبادة ما دون الله، وفي التوجيه إلى غير الكعبة. ﴿ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ ﴾ أي ناصر ينصرك.﴿ وَلَا وَاقٍ ﴾ يمنعك من عذابه، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد الأمة، وفي هذه الآية وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة بعدما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية، والمقصود من هذا تحذير المسلمين من أن يركنوا إلى تمويهات المشركين، والتحذير من الرجوع إلى دينهم تهييجا لتصلبهم في دينهم على طريقة قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥]، وتأييس المشركين من الطمع في مجيء آية توافق مقترحاتهم و﴿ مِنَ ﴾ الداخلة على اسم الجلالة

(١) ابن الجوزي، زاد المسير ٤/ ١٠، مرجع سابق.

﴿ ٱللَّهِ ﴾ تتعلق بـــ ولي وواق و ﴿ مِن ﴾ الداخلة على ﴿ وَلِيٍّ ﴾ لتأكيد النفي تنصيصا على العموم"[1].

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠ ﴾[البقرة: ١٢٠]، فلن ينال العبد المؤمن ولاية الله تعالى ويكتمل إيمانه، حتى يكون هواه تبعا للحق الذي جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى، وأن لا يقدم عليه هواه ولا ذوقه، فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به »[2].

فإذا طوع العبد هواه لشرع الله تعالى نال ولاية الله تعالى، وبذلك يجد حلاوة الإيمان، التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي الصحيحين عن

---

(١) القرطبي، الجامع الأحكام القرآن ٩/ ٣٢٦، مرجع سابق، وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٦٧، مرجع سابق، وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٣/ ١٦٠ مرجع سابق.

(٢) ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، كتاب السنة، ومعه كتاب ظلال الجنة في تخريج السنة، لمحمد ناصر الدين الألباني برقم(١٥)، وقد ضعف هذا الحديث الألباني وقال عنه: رجاله ثقات غير نعيم بن حماد ضعيف لكثرة خطئه، وقال عنه الإمام النووي في كتابه الأربعين النووية: حسن صحيح، ووافقه ابن حجر، ينظر: أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/ ٢٨٩ ،والذي يظهر: أن تصحيح الإمام النووي وابن حجر لهذا الحديث، أولى ممن قالوا بتضعيفه.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار»[1].

---

١) صحيح البخاري، مرجع سابق برقم (١٦)، وينظر: صحيح مسلم، مرجع سابق برقم (١٦).

السبب الخامس: الكبر

خلق الله الخلق لعبادته وطاعته، وفي مقدمة من عبدوا الله تعالى أنبياؤه ورسله وملائكته وعباده الصالحون، فنالوا بذلك ولاية الله تعالى والقرب منه، وفي المقابل استكبرت طائفة من الخلق عن عبادة الله تعالى وطاعته، فأبعدهم الله تعالى وطردهم من ساحة ولايته، وفي الآخرة سينالهم عذاب الله تعالى وسخطه ولن يجدوا لهم من دون الله وليا ولا نصيرا، قال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾ [النساء: ١٧٢ – ١٧٣]، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾ أي: لن يستكبر المسيح أن يكون عبداً لله"[١]، وقد جاء في سبب نزول هذه الآية أن وفداً من نصارى نجران جاءوا إلى

([١]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق ٢/ ٤٨٠.

النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا محمد تعيب صاحبنا! قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى، قال: وأي شيء أقول فيه؟ قالوا: تقول: إنه عبد الله ورسوله، فقال لهم: إنه ليس بعار لعيسى أن يكون عبدا لله، فنزلت هذه الآية: ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ ﴾ رواه أبو صالح عن ابن عباس [١].

فإخباره تبارك وتعالى عمن استكبروا عن عبادته أنهم لن يجدوا لهم أولياء ولا نصراء في الآخرة وذلك أنه" قد عُرِف عند العرب وغيرهم من الأمم، الاعتماد عند الضيق على الأولياء والنصراء ليكفوا عنهم المصائب بالقتال أو الفداء؛ إلاَّ من استكبروا عن عبادة الله في الدنيا وماتوا وهم كفار فلن يجدوا شيئاً من ذلك؛ ولذلك كثر في القرآن نفي الأولياء والنصراء عنهم يوم القيامة، وبيان عدم قبول الفدية منهم في ذلك اليوم، كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق ٢/ ١٥٨، الرازي، مفاتيح الغيب، ٢/ ٢٠٤ ، مرجع سابق، والبيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل صـ ٢٨٤، وسبب النزول ذكره أبو داود في كتاب الفرائض برقم (٢٨٨٧)، وأخرجه البيهقي في السنن ٦/ ٢٣١، نقلاً من الواحدي في أسباب النزول، صـ ١٩٠ مرجع سابق.

يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ٩١] "[١].

فالمسيح ابن مريم والملائكة المقربون من الله تعالى، يعلمون عظمة خالقهم سبحانه وتعالى؛ لهذا فهم لا يستكبرون عن عبادة ربهم وطاعته، وهم بهذه العبادة نالوا ولاية ربهم وتأييده ونصرته، وفي الآخرة فإن الله تعالى سوف يجزيهم جزائهم الحسن، كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ١٧٣]، وفي المقابل ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ قال الإمام الطبري يعني:" استكبروا عن التذلل لألوهته وعبادته، والتسليم لربوبيته ﴿ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾، يعني: عذابا موجعا ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا ﴾، أي: لا يجد المستكبرون عن عبادته إذا عذبهم الله الأليم من عذابه، وليا ينجيهم من عذابه وينقذهم منه ﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾، يعني: ولا ناصرا ينصرهم فيستنقذهم من ربهم، ويدفع عنهم بقوته ما

([١]) ابن عاشور، التحرير والتنوير٦/ ٦٢، مرجع سابق، باختصار وتصرف

أحل بهم من نقمته، كالذي كانوا يفعلون بهم إذا أرادهم غيرهم من أهل الدنيا في الدنيا بسوء، من نصرتهم والمدافعة عنهم"[1].

فمن يستكبر عن عبادة ربه فهو المحروم من ولاية الله في الدنيا، ومصيره في الآخرة العذاب الأليم في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾

([1]) الطبري، جامع البيان ٩/ ٤٢٦ مرجع سابق .

السبب السادس: الظلم

الظلم مانع يمنع صاحبه من نيل ولاية الله تعالى؛ وذلك أن الظالم استعان بقوته وإمكانيته فظلم غيره واعتدى على حقوقهم، وظن أنهم لا ولي لهم يساندهم ولا ناصر يدفع عنهم ظلم الظالم وعدوانه، ونسي هذا الظالم - أو تناسى - أن الله تعالى هو ولي كل مظلوم ونصيره، وأن الظالم في الحقيقة هو الذي لا ولي له ولا ناصر يدفع عنه عذاب الله تعالى وعقابه في الدنيا والآخرة، قال تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ ﴾[الشورى: ٨ –٩] ، قال الإمام الشوكاني قوله تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾قال الضحاك أي: أهل دين واحد، إما على هدى، وإما على ضلالة، ولكنهم افترقوا على أديان مختلفة بالمشيئة الأزلية، وهو معنى قوله ﴿ وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ﴾ في الدين الحق وهو: الإسلام ﴿ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾أي: المشركون ما لهم من وليّ يدفع عنهم العذاب، ولا نصير ينصرهم في ذلك المقام، ومثل هذا قوله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى

﴿ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ [الأنعام : ٣٥]، وقوله: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة : ١٣]"[1].

قال ابن عاشور:" والمراد بالولاية في قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩ ﴾ ولاية المعبودية، وأفاد تعريف المسند: ﴿ ٱلۡوَلِيُّ ﴾ في قوله: ﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ ﴾ قصر جنس الولي بهذا الوصف على الله، وإذ قد عبدوا غير الله تعين أن المراد قصر الولاية الحق عليه تعالى، وأفاد ضمير الفصل في قوله: ﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ ﴾ تأكيد القصر وتحقيقه وأنه لا مبالغة فيه تذكيرا بأن الولاية الحقة في هذا الشأن مختصة بالله تعالى، وهذا كله مسوق إلى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين تسلية وتثبيتا وتعريضا بالمشركين فإنهم لا يخلون من أن يسمعوه، وعطف قوله تعالى ﴿ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ على جملة فالله ﴿ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ ﴾، لإثبات البعث؛ لأنهم أنكروا ذلك في ضمن اتخاذهم أولياء من دون الله."[2].

---

(1) الشوكاني، فتح القدير ٦/ ٣٦٨، مرجع سابق.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٥/ ٣٨، مرجع سابق باختصار، وتصرف يسير.

فالظالمون بسبب ظلمهم واتخاذهم أولياء من دون الله تعالى، حرموا من ولاية الله تعالى لهم في الدنيا والآخرة، ولو علموا حقيقة الولاية والنصرة، لا تخذوا الله وليا وعبدوه وحده؛ وذلك أن " الله هو الولي الذي يتولاه عبده بعبادته وطاعته، والتقرب إليه بما أمكن من أنواع القربات، ويتولى عباده عموما بتدبيره، ونفوذ القدر فيهم، ويتولى عباده المؤمنين خصوصا، بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتربيتهم بلطفه، وإعانتهم في جميع أمورهم"[1].

فمن أراد ولاية الله تعالى فليتحرر من كل أنواع الظلم وصوره، وليتب إلى ربه من ذلك، قبل الوقوف بين يدي الله تعالى، وعندها لن يجد له وليا ولا نصيرا.

---

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن صـ ٧٥٢، مرجع سابق باختصار.

المبحث الثالث: من ثمرات الولاية في القرآن الكريم

إذا وصل العبد إلى مرتبة الولاية، وصار ولياً لله تعالى، فإن الله تعالى يكرمه بثمار الولاية، وهذه الثمار متعددة ومتنوعة، فمنها ما تكون في الحياة الدنيا، بأن يدافع الله تعالى عن وليه ويحفظه ويؤيده، ومنها ما تكون عند الممات بأن يثبته الله واليه بالقول الثابت، وفي الآخرة يكرم الله تعالى أولياءه بأن يدخلهم الجنة، ومن أهم ثمرات الولاية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم خمس ثمرات نتناولها في هذا المبحث على النحو التالي:

الثمرة الأولى: أولياء الله تعالى لا خوف عليهم ولاهم يحزنون

أولياء الله تعالى هم الذين حافظوا على طاعة ربهم، فامتثلوا أوامر الله تعالى واجتنبوا نواهيه، هؤلاء الأولياء يكرمهم الله بأن يذهب عنهم المخاوف والأحزان التي قد تعترضهم في رحلتهم إلى الله تعالى، فيأمر الله تعالى ملائكته أن تتولى أمورهم في دنياهم وآخرتهم، كقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ

﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣١]، قال السعدي في تفسيره لهذه الآية:" يخبر تعالى عن أوليائه لتنشيطهم، والحث على الاقتداء بهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علما وعملا ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار. ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾على ما يستقبل من أمركم، ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل،﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولا ويقولون لهم ـ أيضا – مثبتين لهم، ومبشرين:﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يحثونهم في الدنيا على الخير، ويزينونه لهم، ويرهبونهم من الشر، ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصا عند الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط، يهنئونهم بكرامة لهم بدخولهم جنة ربهم، فيقولون لهم:﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ أي: تطلبون من كل ما تتعلق

به إرادتكم وتطلبونه من أنواع اللذات والمشتهيات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[1].

وقد أكد الله تعالى نفي الخوف والحزن عن أوليائه المؤمنين في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣] قال الإمام أبو السعود : "والمراد بأولياء الله خلص المؤمنين لقربهم منه سبحانه وتعالى: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ في الدارين من لحوق مكروه ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ من فوات مطلوب أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك، وإنما لا يعتريهم ذلك؛ لأن مقصدهم ليس إلا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه، وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة إليه تعالى، وأما ما عدا ذلك من الأمور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها أو يحزنوا بفوات نافعها"[2].

([1]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن صـ ٧٤٨، مرجع سابق، باختصار وتصرف يسير.

([2]) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ت (٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)

الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ٤/ ١٥٨ باختصار.

فنفي الخوف والحزن عن أولياء الله المتقين من أعظم ثمار مرتبة الولاية، ولا يتحصَّل العبد على هذه الثمرة إلا بسلوك طريق الاستقامة والمواظبة على الطاعة وتلك عين الكرامة وحقيقة الولاية والاستقامة التي أرشد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك قال:" قل آمنت بالله فاستقم"[١].

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، ١/ ٦٥برقم (٥٥) مرجع سابق.

الثمرة الثانية: حفظ الله تعالى لأوليائه

وإذا تولى الله تعالى أمر أحد من خلقه هدى باله وأصلح أحواله وكفاه شرور أعداءه، فهذا نبي الله يوسف عليه السلام تولى الله أمره فحفظه من كيد أخوته المتآمرين عليه، وحفظه مرة ثانية من كيد امرأة العزيز ثم مكن له بعد ذلك في الأرض قال تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام وهو يدعو ربه:﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ﴾[يوسف: ١٠١]وقد تولى الله تعالى أمور يوسف عليه السلام في الدنيا فـ " نصره وقربه وأعانه؛ بدليل حفظه من كل ما مر به من عقبات، ويوسف عليه السلام يرجو ويدعو ربه ألا تقتصر ولاية الله تعالى له على الدنيا الفانية، ويطمع بأن تستمر ولاية الله له إلى الآخرة كما كان وليه في الدنيا، فيوسف يدعوه: ﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ودعا يوسف عليه السلام بهذا الدعاء؛ حتى يكون أهلا لعطاء الله

له في الآخرة؛ فقد أخذ يوسف عطاء الدنيا واستمتع به ، ومتع به ، ومشى فيه بما يرضى الله"[١]

وهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام تولى الله أمره فحفظة من كيد أعدائه المتآمرين عليه، يوم حاولوا قتله وإحراقه بالنار، فنجاه الله من كيدهم ومكرهم، وأكرمه سبحانه بأن جعل له أتباعا وموالين له إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٨]،قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية، والمعنى:" إن أحق الناس بإبراهيم ونصرته وولايته ﴿ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾، يعني: الذين سلكوا طريقه ومنهاجه، فوحدوا الله مخلصين له الدين، وسنوا سنته، وشرعوا شرائعه، وكانوا لله حنفاء مسلمين غير مشركين به ﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ يعني: محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾، يعني: والذين صدقوا محمدا، وبما جاءهم به من عند الله ﴿ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، يقول: والله ناصر المؤمنين بمحمد، المصدقين له في نبوته وفيما جاءهم به من عنده، على من خالفهم من أهل الملل والأديان"[٢]

---

(١) الشعراوي، تفسير الشعراوي، صـ ٤٤٨٩، مرجع سابق، بتصرف واختصار.

(٢) الطبري، جامع البيان ٦/ ٤٩٧، مرجع سابق.

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، تولى الله تعالى فحفظه في جميع أموره وشؤونه، وكبت أعداءه ونصره عليهم، وحتى على مستوى أموره العائلة، ومشاكله الأسرية تولاه الله في كل ذلك، فحين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بعض أزواجه بسر خاص[1]، فأخبرت بهذا السر بعض نسائه، فلما أطلعه الله تعالى على ما حصل غضب النبي صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله تعالى في ذلك آيات بينات فيها تهدد لبعض نسائه أنهنَّ إن لم يَتُبْنَ إلى الله تعالى مما جرى منهنَّ تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعاونَّ على النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فإن الله تعالى سوف يتولى أمره، قال تعالى:﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [التحريم: ٤] قال الإمام

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [التحريم: ٣]، أي: واذكر إذ أسر النبي إلى حفصة حديثا" يعني تحريم مارية القبطية على نفسه واستكتامه إياها ذلك، فأخبر بذلك أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، وقد روى هذا القول العوفي عن ابن عباس، وهناك أقوال أخرى ينظر: الواحدي، أسباب النزول صـ ٤٦١، مرجع سابق، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ١٨٦ مرجع سابق، وينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ٤٦ مرجع سابق.

الطبري في تفسير:" أي: فإن الله هو وليه وناصره، وصالح المؤمنين، وخيار المؤمنين أيضا مولاه وناصروه"[(١)].

ومن حفظ الله تعالى وتأييده لأوليائه المؤمنين أنه سبحانه وتعالى، أذن بالحرب لمن عاداهم وآذاهم، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته"[(٢)].

فأنبياء الله ورسله يقفون في مقدمة أولياء الله تعالى، فقد تولاهم الله بالحفظ والنصر والتأييد، ثم يليهم في هذه المرتبة كل مؤمن تقي، يتقرَّب إلى الله بفرائض الأعمال ويُكثر من نوافلها.

---

(١) الطبري، جامع البيان ٢٣/ ٤٨٦ مرجع سابق.

(٢) صحيح البخاري برقم(٦٠٢١)، وسبق تخريجه في المقدمة.

الثمرة الثالثة: رضى الله تعالى عن أوليائه

ومن الثمرات التي يتحصل عليها أولياء الله تعالى، أن يصلوا إلى أن يرضى الله تعالى عنهم، ولن يصلوا إلى مرحلة نيل رضى الله عنهم حتى يتركوا موالاة من حاد الله تعالى ورسوله ولو كانوا من أقرب الناس إليهم، ويوالون الله تعالى ورسوله والمؤمنين، وهذه علامة الإيمان الصادق الذي كتبه الله في قلوبهم، وبسبب ذلك يستحقون رضى الله عنهم وتأييده لهم وإكرامهم بدخول الجنة، وذلك هو قمة الفوز والفلاح قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقد ضرب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في تمثل موالاة الله ورسوله، ويدل على ذلك أسباب النزول الواردة في هذ الآية:

قال ابن مسعود، إن هذه الآية نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد وقيل: يوم بدر، وكان الجراح يتصدى لأبي عبيدة وأبو

عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله. وقيل: إن هذه الآية نزلت في مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، وفي عمر، قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وفي علي وحمزة وعبيدة، قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة يوم بدر. "[1].

وقال ابن جريح: " حدثت أن أبا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه أبو بكر صكة شديدة سقط منها، ثم ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أو فعلته؟ قال: نعم، قال: فلا تعد إليه، فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية[2] .

وقال السدي: إن هذه الآية نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي، وذلك أنه كان جالسا إلى جنب رسول الله ، فشرب رسول الله ماء، فقال عبد الله: يا رسول الله أبق فضلة من شرابك، قال: وما تصنع بها؟ قال: أسقيها أبي، لعل الله سبحانه يطهر قلبه، ففعل فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ قال: فضلة من شراب رسول الله جئتك بها لتشربها، لعل الله يطهر قلبك، فقال: هلا جئتني ببول أمك! فرجع إلى

(١) السيوطي، لباب النقول، مرجع سابق، صـ ٢٠٨، الواحدي، أسباب النزول، مرجع سابق صـ ، ٤٣٤ وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن مرجع سابق، ١٧/ ٣٠٧، و سبب النزول هذا أورده الإمام الحاكم في مستدركه برقم(٥١٥٢)، وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

(٢) الواحدي، أسباب النزول مرجع سابق صـ ٤٣٤، بسند مرسل، وينظر: السيوطي، الدر المنثور في التأويل بالمأثور، ٨/٨٦، ونسبه لابن المنذر.

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله: ائذن لي في قتل أبي، قال: فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ارفق به، وأحسن إليه"[1] .

بينت هذه الآية أن الإيمان يفسد بموالاة الكفار ـ المحاربين لله ورسوله ـ وإن كانوا أهل وأقارب، ويدخل في ذلك موالاة كل من حاد الله ورسوله من أهل الزيغ والضلال، قال الإمام القرطبي رحمه الله: "واستدل مالك رحمه الله من هذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم، قال الإمام مالك: لا تجالس القدرية وعادهم في الله، لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، قلت: وفي معنى أهل القدر يدخل جميع أهل الظلم والعدوان"[2] .

إن قضية الموالاة ينبغي أن تكون لله ولرسوله وللمؤمنين، وهذا لا يجتمع مع موالاة أهل الكفر والعصيان؛ قال سيد قطب رحمه الله:" لا يجمع في قلب إنسان واحد ودين، ودا لله ورسوله وودا لأعداء الله ورسوله! فإما إيمان أو لا إيمان، أما هما معا فلا يجتمعان. ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾، وروابط الدم والقرابة يمكن أن ترعى إذا لم تكن هناك محادة

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير ٣/٦، مرجع سابق.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ١٧/ ٣٠٨، باختصار يسير.

وخصومة في الدين، والصحبة بالمعروف للوالدين المشركين مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب الله وحزب الشيطان، فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد إنها المفاضلة الكاملة بين حزب الله وحزب الشيطان، والانحياز النهائي للصف المتميز، والتجرد من كل عائق وكل جاذب، والارتباط بالعروة الواحدة بالحبل الواحد، وروابط الدم والقرابة هذه تتقطع عند حد الإيمان والكفر"[1].

فمن ثمرات ولاية الله تعالى أن الله تعالى يكرم أولياءه بأن يرضى الله تعالى عنهم، ويثبت في قلوبهم الإيمان، ويدخلهم في الآخرة الجنة ويحل عليهم فيها رضوانه.

([1]) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٧/ ١٥٥، مرجع سابق، باختصار وتصرف

الثمرة الرابعة: الغلبة على الأعداء

اليهود أشد الناس عداوة لأهل الإيمان، قال تعالى:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[المائدة: ٨٢]،والمعركة بين أهل لإيمان واليهود معركة مستمرة والتاريخ خير شاهد على ذلك، واليهود عبر التاريخ كتب الله تعالى عليهم الذلة والصغار، وما يحصلهم لهم من علو في الأرض في بعض فترات التاريخ ـ كما هو حاصل في عصرنا ـ إنما هو بسبب إذن الله تعالى لهم بذلك ثم بسبب إقامتهم لبعض التحالفات مع بعض القوى العالمية الكبرى، وهو حبل النجاة الذي أمدهم الله به ليبتلي بذلك المؤمنين قال تعالى:﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٢]، ولن يَكْتُبَ الله تعالى لأهل الإيمان الغلبة والنصر في معركتهم مع اليهود إلا إذا تولوا الله ورسوله

والمؤمنين وتبرأوا من مولاة اليهود وصدق الله القائل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة: ٥٥ – ٥٦]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية أي :" أيها المؤمنون: ليس لكم، ناصر إلا الله ورسوله، والمؤمنون، أمام اليهود والنصارى الذين أمركم الله أن تبرأوا من ولايتهم، ونهاكم أن تتخذوا منهم أولياء، فليسوا لكم أولياء ولا نصراء، بل بعضهم أولياء بعض، فلا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا، وقيل: إن هذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت، في تبرُئِه من ولاية يهود بني قينقاع وحلفهم، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين؛ وذلك أنه لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم، مشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد بني عوف بن الخزرج فخلعهم إلى رسول الله، وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وقال: أتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم ففيه نزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾"[(١)].

وقال عباس: " أقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه قد آمنوا، فقالوا: يا رسول الله، إن منازلنا بعيدة، وليس لنا مجلس ولا متحدث، وإن قومنا لما رأونا

(١) الطبري، جامع البيان ١٠/ ٤٢٤، مرجع سابق باختصار وتصرف.

آمنا بالله ورسوله وصدقناه- رفضونا والوا على أنفسهم أن لا يجالسونا، ولا يناكحونا ولا يكلمونا، فشق ذلك علينا. فقال لهم النبي عليه السلام: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ فقال: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء، "[1].

ففي هذه الآية ذكر الله تعالى أن الغلبة في المواجهة مع اليهود ستكون لأهل الإيمان الذين والوا الله ورسوله والمؤمنين فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" أداة الحصر في قوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ تدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين، والتبري من ولاية غيرهم، ثم ذكر فائدة هذه الولاية فقال: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ أي: فإنه من الحزب المضافين إلى الله إضافة عبودية وولاية، وحزبه هم الغالبون الذين لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٧٣]،وهذه بشارة عظيمة، لمن قام بأمر الله وصار من حزبه وجنده،

---

(١) الواحدي، أسباب النزول صـ ٢٠٢مرجع سابق، وينظر: السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول صـ ٨١، مرجع سابق، وابن الجوزي ، زاد المسير، ٢/ ٢٢٧ مرجع سابق.

أن له الغلبة، وإن أُدِيْلَ عليه في بعض الأحيان لحكمة يريدها الله تعالى، فآخر أمره الغلبة والانتصار، ومن أصدق من الله قيلا"[1]

ومما يزيد المؤمنين ثقة بتحقيق موعود الله لأوليائه من المؤمنين بالغلبة على أعدائهم اليهود ما أخبر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود "[2].

وإنما يتحصل أولياء الله تعالى على الغلبة على أعدائهم بسبب الإيمان الذي وقر في قلوبهم، وموالاتهم الله ورسوله.

([1]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن صـ ، مرجع سابق.

([2]) صحيح مسلم برقم، كتاب الفتن، ٤/ ٢٢٣٣، برقم (٥٢٠٣) مرجع سابق.

الثمرة الخامسة: دخول الجنة

ومن أعظم الثمرات التي يكرم الله تعالى بها أولياءه ـ الذين استقاموا على صراطه المستقيم في الدنيا ـ أن يدخلهم الجنة دار السلام قال تعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وقد ذكر أهل التفسير عدة أقوال في معنى هذه الآية الأول: أي الجنة، وقد قال بهذا القول قتادة، الثاني: أنها دار السلامة من الآفات والبلايا وسائر المكاره التي يلقاها أهل النار، قاله الزجاج الثالث: أي دار تحية أهلها فيها سلام؛ وذلك أن جميع حالاتها فيها مقرونة بالسلام، ففي ابتداء دخولهم يقال لهم:﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الحجر: ٤٦] وبعد استقرارهم في الجنة تدخل عليهم الملائكة مسلمين عليهم كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الرعد: ٢٣ – ٢٤] وقوله: ﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٦] وعند لقاء الله يقال لهم: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ

رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾[يس : ٥٨]وقوله تعالى:﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٤] وإضافة الدار إليه سبحانه وتعالى للتشريف"[١].

فهذه الآية تدل على قرب أولياء الله منه سبحانه؛ وذلك أن من معاني الولي القريب، قال الإمام الرازي:" قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يدل على قربهم من الله تعالى، ويدل قوله تعالى:﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾ على قرب الله منهم، ولا نرى للعبد درجة أعلى من هذه الدرجة، وقوله:﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾ يفيد الحصر، أي لا ولي لهم إلا هو، فأولياء الله تعالى قد عرفوا أن الله هو المدبر والمقدر، وأنه هو النافع والضار، وأنه هو المسعد والمشقي، فلما عرفوا هذا انقطعوا عن كل ما سواه، فما كان رجوعهم إلا إليه، وما كان توكلهم إلا عليه، وما كان أنسهم إلا به، وما كان خضوعهم إلا له، فلما صاروا بالكلية، لا جرم، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾ إخبار بأنه تعالى متكفل بجميع مصالحهم في الدين والدنيا، ويدخل فيها الحفظ والحراسة والمعونة والنصرة وإيصال الخيرات ودفع الآفات والبليات، ثم قال تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ وإنما ذكر ذلك لئلا ينقطع المرء عن العمل، فإن العمل لا بد منه"[٢].

([١]) ابن الجوزي، زاد المسير، ٢/ ٤١١، مرجع سابق، وينظر: الألوسي، روح المعاني، ٦/ ٢٠، مرجع سابق.

([٢]) الرازي، مفاتيح الغيب، ٦/ ٤٧٩، مرجع سابق، باختصار وتصرف يسير.

فأعظم ثمرة من ثمار الولاية أن يد خل الله تعالى أولياءه الجنة دار السلام، وسماها في هذه الآية بدار السلام؛ لأنها دار السلامة من الخوف والحزن والتعاسة والشقا، فلا يخافون من أحدا، ولا يحزنون على ما فاتهم في دنياهم، ولهم فيها النعيم الدائم الذي لا ينقطع، وهم عند ربهم، الذين عبدوه في الدنيا ، فيرونه في الآخرة، في الجنة دار السلام، اللهم اجعلنا من أهل الجنة دارك دار السلام.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد تضمنت الخاتمة أهم النتائج والتوصيات والمقترحات على النحو التالي:

أولاً: أهم النتائج

١ـ الوَلاية مشتقة من الولاء، ومعناها الدنو والتقرب، وولي الله هو القريب منه بطاعته وعبادته، والله يتولاه بنصره وتأييده، وهذه الولاية على قسمين عامة لجميع الخلق وخاصة بالمؤمنين.

٢ـ الوَلاية من المراتب العالية التي يسعى للوصول إليها كل مؤمن صادق في إيمانيه، وهي ليست دعوى يدعيها كل إنسان بدون عمل أو كسب.

٣ـ ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أسباباً من اتصف بها كان وليا لله تعالى في كل زمان ومكان، وهناك أسباب من وقع فيها حرم من ولاية الله تعالى وكان من أعداء لله تعالى.

٤ـ من صار ولياً لله تعالى نال ثمرات ولاية الله تعالى في الدنيا والآخرة.

ثانياً: أهم التوصيات والمقترحات

١ـ من أراد أن يكون ولياً لله تعالى عليه أن يتحقق بأسباب ولاية الله تعالى ويبتعد عن أسباب الحرمان من ولاية الله

٢ـ يوصي البا حث القائمين على وسائل التوجيه والإرشاد في عالمنا العربي والإسلامي بإعداد برامج خاصة تعتني ببيان أهميته ولاية الله تعالى وفضل محبة الله تعالى والقرب منه، ويتم إلقاؤها عبر وسائل الإعلام المختلفة، فتلقى في طوابير الصباح في المدارس، وفي منابر الجمعة في المساجد، وفي القنوات التلفزيونية، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة.

٣ـ يوصي الباحث الدعاة والخطباء وأهل العلم، بتذكير الناس بالأسباب الجالبة لولاية الله تعالى وحثهم على الاتصاف بها، وتحذيرهم من أسباب الحرمان من ولاية الله تعالى.

٤ـ يدعو الباحث الباحثين والدارسين إلى دراسة موسعة للأسباب الجالبة لولاية الله تعالى، وذلك لما لها آثار ثمار طيبة في حياة الفرد وفي آخرته.

وفي الختام أسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا لفعل الطاعات، وأن يجعلنا من عباده الصالحين ومن أوليائه المتقين وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، ويعم به النفع في الدارين، إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

قائمة المصادر والمراجع

١ إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل، الزجاج (ط١: ١٩٧٤) تفسير أسماء الله الحسنى ، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار النشر : دار الثقافة العربية، دمشق.

٢ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(ط٢: ١٤١٦هـ -١٩٩٥م)، مجموع فتاوى ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية،.

٣ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية،(١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق.

٤ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(١٣٧٩هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب مع تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٥ أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، المعروف بن أبي عاصم (ط٣: ١٤١٣-١٩٩٣ت)،كتاب السنة، ومعه كتاب ظلال الجنة في تخريج السنة، لمحمد ناصر الدين الألباني، دار النشر: المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٦ أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة المؤلف: تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر.

٧ أحمد بن مصطفى المراغي (ط١: ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

٨ إسماعيل بن حماد الجوهري (ط٤ ١٩٩٠)، تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين- بيروت.

٩ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ط٣: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.

١٠ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ط١: ١٤٢٢ هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

١١ جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي(ط١: ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.

١٢ الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ط١ – ١٤١٢ هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية .

١٣ خالد بن عبد الرحمن الحسينان (١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م) ، هكذا كان الصالحون، الناشر: مركز الفجر للإعلام

١٤ سيد قطب إبراهيم، (ط٢٥: ١٤١٧هـ ١٩٩٦) فى ظلال القرآن، الناشر: دار الشروق ـ القاهرة .

١٥ شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي(ط١: ١٤١٥ هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٦ عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي (ط١ ١٤٢٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

١٧ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، لباب النقول في اسباب النزول، ضبطه وصححه: الاستاذ احمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

١٨ عبد الرحمن بن الكمال السيوطي(١٩٩٣م)، الدر المنثور في التأويل بالمأثور، دار الفكر – بيروت.

١٩ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ط١: ١٤٠٥ – ١٩٨٥)، غريب الحديث، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٢٠ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، الرازي ابن أبي حاتم ت (ط٣: ١٤١٩هـ)تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، دار النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية.

٢١ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي(ط١: ١٤١٨هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقق: محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٢ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي(ط١ ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٢٣ عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي (ط: ١٤١٨ هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٤ عبدالمجيد بن عزيز الزنداني(ط١: ٢٠٠٦)، بينات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، طبعة خاصة بجامعة الإيمان، مركز البحوث بالجامعة .

٢٥ علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري(ط١: ١٤١١)، أسباب نزول القرآن تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٦ علي بن محمد بن علي الجرجاني، (ط١: ، ١٤٠٥) التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت.

٢٧ علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري الشهير بالماوردي، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

٢٨ العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، أبوا السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٩ فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي(ط١: ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م)، مفاتيح الغيب، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

٣٠ مجب الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى (١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة .

٣١ المؤلف: محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، (ط١: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م)، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، الناشر: دار اليقين للنشر والتوزيع.

٣٢ محمد بن إسماعيل البخاري (ط٣، ١٤٠٧ –١٩٨٧)، صحيح البخاري تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر : دار ابن كثير، اليمامة بيروت .

٣٣ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي(١٤١٥ هـ– ١٩٩٥م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان.

٣٤ محمد الطاهر بن عاشور(١٩٩٧م)، التحرير والتنوير الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر تونس.

٣٥ محمد بن أبي بكر أيوب ابن القيم الجوزية،(ط١ ، ١٤١٦ – ١٩٩٦)، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، وعادل عبد الحميد العدوي وأشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.

٣٦ محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار المعرفة – المغرب.

٣٧ محمد بن أحمد الانصاري القرطبي(١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري الناشر: دار احياء التراث العربي بيروت – لبنان.

٣٨ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ،زهرة التفاسير، دار الفكر العربي زهرة التفاسير

٣٩ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري(ط١: ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

٤٠ محمد بن سعيد بن سالم القحطاني،(ط١) الولاء والبراء في الإسلام، تقديم: فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية.

٤١ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤١٣هـ)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان الناشر: دار الوطن، ودار الثريا.

٤٢ محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري:(ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠)، المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي في التلخيص، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٣ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، قطر الولي على حديث الولي، تحقق: إبراهيم إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة – مصر / القاهرة.

٤٤ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ط١ – ١٤١٤ هـ) فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت.

٤٥ محمد بن محمد الغزالي(ط١، ١٤٠٧ –١٩٨٧)، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي الناشر: الجفان والجابي – قبرص.

٤٦ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ط٣ – ١٤١٤هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٤٧ محمد بن يوسف الأندلسي(١٤٢٠هـ)، تفسير البحر المحيط تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر . بيروت.

٤٨ محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي(ط١ – ١٤١٨هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٩ محمد رشيد بن علي رضا الحسيني، (١٩٩٠م)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام.

٥٠ محمد متولي الشعراوي(١٩٩٧)، تفسير الشعراوي الناشر: مطابع أخبار اليوم، سنة النشر.

٥١ محمد نعيم ياسين، الإيمان(١٩٨٧م)، أركانه، حقيقته. نواقضه، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

٥٢ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

٥٣ يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي، الإفريقي القيرواني(١٩٧٩)،التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه تحقق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع .